

## فلسفة الصورة

■ أمل مبروك عبد الحليم ■

### تمهيد

من سمات عصرنا الراهن هيمنة «الصورة» وسيادتها، لتكون إحدى أهم الأدوات المعرفية والثقافية والاقتصادية، وقد شهدت «الصورة» عدة تحولات مختلفة أثرت بشكل كبير في إنتاج مفاهيم جديدة، أسهمت في إثراء كافة الأنشطة الثقافية والمعارف الإنسانية والقيم والمعاني الجمالية. وقد قال «أرسطو»: إن التفكير مستحيل دون صور، فالصور تملأ الحياة العصرية وتغزو الأمكنة والأزمنة وتعايش الإنسان منذ بدء الخليقة، وهذا ما أكده المفكر الفرنسي «رولان بارت» حين رأى أن الصورة جاءت لتكسر الحواجز والسدود أمام الجماهير، وتلغي التمييز الثقافي والطبقي، وتقتحم إحساسنا

■ أستاذة الفلسفة في كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر.

الوجداني، وتتدخل في تكويننا العقلي؛ بل إنها تؤثر في حياتنا الاجتماعية والسياسية. وفي ظل ثقافة العولمة - التي غزت عالم التكنولوجيا ووسائل الاتصال، والتي توظف إمكانيات الإعلام بطريقة محكمة - أصبحت الصورة في كل مكان، ولم يعد ممكناً أن نفكر في كثير من أمور حياتنا اليومية من دون أن نفكر في الصور. وقديماً أدرك ذلك «أوفيد» (Ovidius (43 B.C - 18 A.D) حين قال: «ليس في الكون كله ثمة شيء ثابت، فكل شيء في تغير مستمر يسيل كالماء، وأشكال الكائنات عارضة». أما الآن ونحن في القرن الحادي والعشرين وبعد ثورة الإعلام والمعلومات وبث الصور التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية إلى أي مكان فوق سطح كوكبنا؛ فقد أصبح ممكناً ابتداء عالم من الخيال يسمى «الحقيقة الوهمية»، والمقصود به فن صناعة «عالم من الصور»، يمكن أن يظهر لنا وكأنما قد حل محل «الواقع الفعلي»، أو هو بالأحرى «واقع لا واقعي»، يجري ابتداعه بالكمبيوتر، حتى يبدو لحواسنا أكثر حقيقة من الحقيقة.

## تعريف الصورة

تعطي بعض القواميس تعريفات كثيرة لكلمة «صورة» بدءاً من الإشارة إلى عملية إعادة الإنتاج (أو النسخ) للشكل الخاص بإنسان أو بموضوع معين، إلى الإشارة إلى كل ما يظهر على نحو خفي؛ وبخاصة إذا كان غريباً أو غير متوقع. وبين هذين المعنيين تشتمل التعريفات على استخدامات خاصة للمصطلح تجسد الخصائص المرتبطة بالصورة المرئية، وكذلك الجوانب العقلية، التي تشتمل على الوصف الحي؛ كالاستعارة الأدبية والرمز، وكذلك الرأي أو التصور، والطابع الذي يتركه شخص أو مؤسسة، كما تقدمها وسائل

الإعلام الجماهيرية<sup>1</sup>. وقد جاءت كلمة «الصورة» في الاصطلاح اللغوي (بالضم وسكون الواو) بمعنى الشكل، والجمع صُورٌ وصُورٌ وصُور، وقد صُوِّره فتصور، وتَصَوَّرْتُ الشيء: توهمت صورته فتصوَّر لي. والتصاوِيرُ: التماثيلُ. وقال «ابن الأثير» (1160 - 1232): الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته. يقال: صورةُ الفعل كذا وكذا؛ أي هيئته، وصورةُ الأمر كذا وكذا؛ أي صفته. أما التصوُّر فهو حصول صورة الشيء في العقل؛ أي تخيل صورته في ذهنه. وفي علم النفس: استحضار صورة شيء محسوس في العقل دون التصرف فيه، بمعنى أنه عملية تكوين الأفكار وإحياء منبهات ومثيرات بذهن الفرد، غير قائمة أمامه وقت قيامه بعملية التصور. وعند المناطقة هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات. وأما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني؛ أي نقش صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط أو نحوهما بالقلم أو بألة التصوير<sup>2</sup>.

- 1- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة: السلبيات والإيجابيات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (311) 2005، ص 16.  
أيضاً: حسن حنفي، عالم الأشياء أم عالم الصور، مجلة فصول، عدد (62)، 2003، ص 26.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، (المجلد الخامس)، (باب الصاد)، ص 427.  
- المُعْجَم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، 1958، الجزء الأول، (باب الصاد)، ص 548.  
أيضاً: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1998، (المجلد الثالث) (باب الصاد) ص 34.  
كذلك: جميل صليبا، المُعْجَم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1971، ص 741.